المحاضرة السّادسة: البنية السّردية في القصّة القصيرة

* القصّـــــة العربية القصيــــرة
* الخصائص الفنّية للقصة القصيرة
* القصّـة القصيرة في الـــــجزائر

المحاضرة السّادسة: البنية السّردية في القصّة القصيرة

القصّة العربية القصيرة:

تعدّ القصّة القصيرة من أبرز الأجناس الأدبية الحديثة التي استهوت القراء ما تتميّز من خصائص فنّية مقارنة بباقي الأجناس، وهي الخصائص التي جعلت منها فنّا يسمح باستيعاب كل القضايا التي تمسّ الإنسان ومجتمعه، فبالرّغم من قصر حجمها وكثافة لغتها إلّا أنّها استطاعت أن توصف الواقع مختلف متناقضاته. ولهذا يجدها القارئ فضاء رحبا، پسایر انفعالاته، ويعبّر عن أهوائه، فالقصّة القصيرة بالرّغم من حجمها إلّا أنّها استطاعت أن تواكب التّطورات وتعكسها بشكل جمالي لافت.

تعود الإرهاصات الأولى لفت القصة القصيرة بشكلها الخاص إلى "بوكاشيو" في القرن الرّابع عشر وفي كتابتها كلون أدبيّ جديد بمميزاته المعروفة إلى "أدجار آلانبو" و"جوجول"، حتى جاء "تشيخوف" وادي موباسان" اللذان طورا القصة القصيرة و رسما ملامحها([[1]](#footnote-2)).

ومن أبرز الكتاب العرب الذين خاضوا غمار الكتابة القصصية القصيرة نجد "محمد تيمور ومحمود تیمور وطاهر لاشين ويحي حقي وحسين هيكل ثم تطوّرت مع يوسف إدريس، والطّيب الصّالح "([[2]](#footnote-3)) وغيرهم من الكتّاب العرب الذي سجلوا نتاجاتهم المتميّزة في هذا المجال الإبداعي.

ورغم محدودية أحداث القصّة القصيرة إلّا أنّها تغير المواقف وتعود إليها ممّا يتيح لها التّفرد بخصيصة تمیّزها، فهي " تعود إلى الموقف الذي انطلقت منه لتسير خطوات إلى الأمام "([[3]](#footnote-4))، وهذا ما يعرف بأسلوب الارتداد حين يمزج النّص بين الحاضر والماضي. ومن ضمن ما يميز القصة القصيرة أيضا أنها تكتفي بفترة أو فترات زمنية مؤثرة في الحدث ([[4]](#footnote-5))، فهي لا تهتّم بالأحداث الجزئية، وهذا لا يعني أبدا قصور القصّة القصيرة عن إيصال الرّسالة الكاملة للقارئ بل على العكس تماما، فهي بهذه الميزة تفتح له المجال الواسع لتحليل الحدث الكلي وتفكيكه إلى أحداث جزئية تزيد من فهم مضمون الحكاية و تأويلها، فالسّارد في القصّة القصيرة ينظّم الأحداث ومنحها قيمة شمولية أو تمثيلية، وتلك القيمة لا يحدّدها سوى القارئ الكفء يخزينه المعرفي والثقافي، فيقرأ النّص متجاوزا فكرة الاستمتاع إلى الاستنطاق فيستشف الدّلالات الظاهرة والخفية للنسيج المتردي، "فذوق القارئ الناقد أشد تعقيدا من كل ذلك لأنّه يتطلّب من القصّة أن تكون زاخرة بالحياة، وذلك بأنّ له صورة مموّهة منها تتسم بالخلود والاستمرار "([[5]](#footnote-6)). ولكي يكون النّص القصصي القصير زاخرا بالدّلالات عليه أن يستجيب إلى العصر بكل تمفصلاته، وأن يمنح من واقعه بما يساهم في تكوين الشّخصيات والأزمنة والأمكنة، وأن يلتمس لغة مميزة مثقلة بالأحداث المتجسّدة كلّها فيما يمكن تسميته بالحدث المتكامل، فنصور (اللغة) حدثا متكاملا له وحدة، ووحدة الحدث لا تتحقّق إلا بتصوير الشّخصية وهي تعمل"([[6]](#footnote-7)).

إنّ الشّخصيات في القصّة القصيرة قليلة وتتماشى مع المنطق والهدف العامين، لأنّه كلما قلت الشّخصيات إلى أقات حد ممكن ساعدها ذلك على قوة البناء وتماسكه وعده توزعه على قوى كثيرة تحاول كلّ منها أن تجذب الثّقل في اتجاهها "([[7]](#footnote-8))، وطبعا لا يتمّ هذّا التماسك إلّا تكون اللّغة الذي يحققّ الحبّ المركز، وهذا راجع لطبيعتها المكثّفة، وللإشارة فإنّ هذه السّمة لا تصطحب معها عجز النّص القصص عن استضافة التّراث أو المادة التاريخية أو الأسطورية ... ، فنصّ القصّة القصيرة قادر على تمثّل تلك المواد التراثية وإعادة تركيبها بتخبيل يزيدها ثراء وفتية .

• الخصائص الفنية للقصة القصيرة

تتميز القصة القصيرة كباقي الأجناس الأدبية بجملة من السّمات الفنّية التي تميزها، من بينها:

* الوحدة : وتكون على مستوى بناء القصة القصيرة، وتتجمد في وحدة البطل ووحدة الحدث وقلة الأمكنة.
* التكثيف: وهو ما يميز القصة القصيرة ويكون بمثابة المعيار الذي نحتكم إليه لتحقيق مدى نجاحها من عدمه.
* الدراما: لا يشترط وجود صراع خارجي صارخ بل يكتفي النص بحيوية الأحداث وحرارتها فتؤثر في القارئ تأثيرا بالغا.

• القصة القصيرة في الجزائر:

ارتبطت نشأة القصة القصيرة في الجزائر بالثورة التحريرية، فقد كانت الثورة عاملا تاريخيا موجها لها ولتطوّرها من النّاحيتين الشّكلية والمضمونية، فثورة الشّعب على المستعمر الفرنسي تبعتها ثورات في شتّى المجالات الحياتية وبخاصة الفكرية والأدبية، حيث لم يجد المبدع متنفسه كاملا في القصيدة العمودية، فانتقى الشعر الحرّ أيضا للمطالبة بالحرية والتّحرر من قيد المستعمر، وإلى جانب الرّواية اختار القصّة القصيرة حتى تستوعب بكثافتها وقصر حجمها ما يجري من أحداث كانت البلاد تعج بها طيلة فترة الاحتلال "وقد اتخذ التعبير عن الثورة في القصة القصيرة أشكالا شتى وصورا متعددة، متراوحة فيما بين التناول المثالي المفرط إلى حد القداسة، والمبالغة غير المبرة أحيانا، وبين التّسطيح والتوثيق أو التّسجيل الوصفي التّقريري المباشر ([[8]](#footnote-9))، فباعث الثّورة استدعى هذا التّحوّل الكتابي والحاجة إلى القصة القصيرة التي من شأنها أن تناول جزئية أغفلتها باقي الأجناس الأدبية - الرّواية بخاصة - فتعطي البطل الواحد حقّه وتضفي على الحدث الدّرامية التي يستحقّها من خلال المشاهد التّاريخية المنتقاة حيث" ينحرف الرّاوي بالقصّ ليتوّجه مباشرة إلى القارئ مستجليا أمامه صور الواقع البائس، وكأنه يشاهده على شاشة سينمائية "[[9]](#footnote-10)

لقد سجّلت السّاحة الأدبية في الجزائر ظهور كتابات قصصيّة قصيرة كثيرة لكتاب كبار، بدءا من أربعينيات القرن الماضي وصولا إلى يومنا هذا، نذكر منهم: أحمد رضا حوحو مجموعة "غادة أم القرى"، وعبد الحميد بن هدوقة بمدونة "الأشعة المتبعة"، الطاهر وطار بنص "الشهداء يعودون هذا الأسبوع"، و"أبو العيد دودو" مجموعة "بحيرة الزّيتون"، والطّيب معاش وأحمد عاشور ومرزاق بقطاش وواسيني الأعرج، مع تسجيل حضور الكاتبة الجزائرية التي أبدعت في هذا المجال، كزهور ونيسي وجميلة زنير وفضيلة ملهاق وغيرهن.

كان للسّياقات الخارجية دورها في تقاطع الكثير من النّصوص القصصيّة الجزائرية، وفي وسمها بالخصائص الفنيّة ذاتها، وهذا لا يعني أنّ القصّة القصيرة قد توفّرت فيها كلّ الخصائص أو السّمات الفنيّة وإنّما يعني أنّها خطت خطوة جديدة في تطورها واقتربت كثيرا من النّضج ([[10]](#footnote-11))، فحين تمازجت الخبرات وأفادت من بعضها البعض زاد مستوى النضج، وأثبتت قدرتها على إعادة تمثل الواقع وأكدت في الوقت نفسه "قدرتها على اجتذاب القراء وجعلهم أولا متورطين معها في صياغة الأحداث وتقليب وجهات الرأي، و ثانیا مندمجين بها في مغامرة تخصيب التأويلات المحتملة وارتياد مجالات العوالم | الممكنة".([[11]](#footnote-12))

1. - بنظر : أحمد طالب الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (1976-1931)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية ، دط، دت، ص199. [↑](#footnote-ref-2)
2. - ينظر : المرجع نفسه، ص 200. [↑](#footnote-ref-3)
3. - المرجع نفسه، ص 217. [↑](#footnote-ref-4)
4. - المرجع نفسه، ص216. [↑](#footnote-ref-5)
5. - محمد الهادي العامري، القصّة التّونسيّة القصيرة، دار بوسلامة،ط1، 1962م، ص85. [↑](#footnote-ref-6)
6. - رشاد رشدي، فنّ القصّة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، ص55. [↑](#footnote-ref-7)
7. - میشیل رايمون ،بصدد التّمييز بين القصّة والرّواية - طرائق تحليل العمل الأدبي، تر: حسن بحراوي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرّباط، ط1،1992م، ص178 [↑](#footnote-ref-8)
8. - ينظر : إبراهيم صحراوي، ديوان القصة، منتخبات من القصة القصيرة الجزائرية الحديثة والمعاصرة، دار الشوير ، الجرافي، 2012، ص: 14. [↑](#footnote-ref-9)
9. - محمد الهادي العامري، القصة التقية القصيرة، دار بوسلامة، تونس، ط1، 1980، ص: 85. [↑](#footnote-ref-10)
10. - عبد اللّه الرّكيبي، القصّة القصيرة الجزائرية، ص140. [↑](#footnote-ref-11)
11. - حميد حمداني، القصة القصيرة في العالم العربي، ظواهر بنائية ودلالية،، مطبعة أنفو برانت، فاس - المغرب، ط1، 2015، ص 11. [↑](#footnote-ref-12)